المحاضرة رقم ٦:

2. مقاربة مارتين جولي:

ترى مارتين جولي أن الأنساق البصرية تتميز ببناء محكم تتضافر فيه مختلف مكوناته التعبيرية لتبليغ رسالة محددة، وهناك بعض العناصر التي تتوفر في نسق وتغيب في آخر، إلاّ أن هناك عناصر مشتركة في كل نسق بصري وتشمل **علامات أيقونية وعلامات تشكيلية.**

تعتمد **العلامات الأيقونية** على مبدأ التشابه بيد الدّال والمدلول، وتشكل مكونا أساسها من مكونات الأنساق البصرية، ليس باعتبارها عاملاً مساعدًا على استنساخ الواقع وتقديمه فقط، بل لما تضمره من أبعاد إيحائية عديدة ومتشعبة، حيث أن الصورة تحاول أن تقول دائما أكثر مما تعرضه بالدرجة الأولى، كما أن تأويل الأيقونات في الرسالة البصرية يتم على أساس إجراءات إيحائية متعددة مؤسسة على مؤثرات مختلفة تتوزع بين الاستعمالات السوسيوثقافية للصورة، وأشكال وطرق عرضها على المشاهد. أما **العلامات التشكيلية** تتمثل في مجمل العناصر التشكيلية المضافة للعلامات الأيقونية والمساهمة في تشكيل النسق البصري لاسيما الصورة، فهي ليست مواد وتكميلية للعلامة الأيقونية فقط، بل تسهم في تحديد مضمون الرسالة، حيث أن كل عنصر له مساهمة في توجيه المشاهد نحو قراءة محددة[1].

إن كتاب "مدخل إلى تحليل الصورة" " Introduction à l'analyse de l'image" لمارتين جولي، من المراجع التي تتضمن إجراءات تحليلية لبعض الصور الثابتة، بحيث بينت في بلاغة الصورة الإشهارية لمنتوجات "مالبورو" منظومة بلاغية وفكرية متفاعلة تتمثل في مجموعة من الدلائل والمدلولات المتنوعة تشمل على البعد الأيقوني، والبلاستيكي، واللّغوي، وعلى البعد البلاغي الذي يحيل إلى عالم الرجولة والقوة والهيمنة والفردانية والصمود، يكون التأويل في هذه الحالة مرتبطا بمعرفة البعد الثقافي والسوسيوثقافي المركب للمشاهد. كما أن الصورة الإشهارية تمتلك في ثناياها

---

(1) رحاب الداخلي محمد، **دلالات التغطية المصورة لأنشطة التنظيمات الإرهابية في المواقع الإلكترونية للصحف العربية**، دراسة تحليلية سميولوجية على موقع صحيفتي الأهرام المصرية والشرق الأوسط السعودية، مجلة البحوث الإعلامية، العدد 47، جامعة الأزهر، مصر، ص162-163.

خصائص دلالية منبعثة من أصل الأشكال والألوان، الخطوط، الفضاء، الوضعيات، ترتكز في تحليلها على تقاطع ثلاث أنواع من المستويات المتباينة شكليا والمتكاملة نسقيا وهي:

1. **المستوى الشكلي:** يتكون هذا المستوى من مختلف عناصر الصورة الشكلية والتصويرية، أي كل ما ينتمي إلى الألوان، الأشكال، التكوين الداخلي، الإطار (cadre)، الدعامة (support)، التأطير، زاوية التقاط الصورة، الإضاءة وكل ما يدخل في نسيج العلامات، وهذا المستوى يبقى خاصا بالإدراك الحسي للرسالة البصرية.

2. **المستوى الأيقوني:** يتعلق هذا المستوى بكل أنظمة الدلائل الأيقونية التي تقود إلى استحضار معارف أصلية مكتسبة، ثقافية مجردة، ولا يمكن فصلها عن مكونات تشكيل الصورة وعن ما تشير إليه ضمنيا بأبعاد إيحائية عديدة ومتفرعة، غالبا ما تتجاوز نطاق المماثلة المادية للموضوع المنقول. وتقترح "مارتين جول" في هذا المستوى التطرق إلى الموضوعات المصورة مع وصف دقيق لأجزائها الحاضرة والغائبة وما تحمله من أبعاد تعبيرية محددة في السياق السوسيوثقافي، والتطرق أيضا إلى وضعية "النموذج" بطريقة خاصة معتمدة في عرض الموضوعات (الوضعيات) وتوزيعها داخل مجال الصورة، وتحديد أبعادها التي تحتكم إلى ضوابط التشكيل وحضور الأشياء، وضعيتها، العلاقات والروابط الممكنة بين الأشياء والمواضيع، فوضعيات بعض الشخصيات مثلا في علاقاتهم ببعضهم البعض يمكن تأويلها انطلاقا من معطيات اجتماعية تأخذ بعد تواصلي محدد (علاقة عائلية حميمية، أو علاقة عدائية)[٢].

وفي هذا المستوى تتحدث "جولي" عن العلامة التي تأخذ البعد الإزدواجي بين الشكلي والأيقوني باعتبارها علاقة تفاعلية محددة لإنتاج الدلالة الكلية للصورة المرئية، وهي في نواتها دائرية تمر من الشكلي، ووصولاً إلى الأيقوني أو العكس، ويمكن الإقرار أنّ هذا المستوى يعبر عن تأويل الوضعيات والتمثلات بواسطة العملية الإيحائية.

---

(٢)

3. المستوى الألسني: لقد لاحظت الباحثة أنّ الدراسة اللّغوية التي تساعد في إنتاج الدلالة والبلاغة، دراسة مهمة، ولا يمكن الاستغناء عنها، ولذلك، فهي تشترك مع بارث في مسألة حضور اللّغة في الصورة، وفي أشكال التواصل الأخرى لأن دورها الجوهري يتجاوز بذلك عناصر التلفظ لتقوم بوظيفة الإرساء والترسيخ، وتصنيف الباحثة إلى اللّغة الدور التوضيحي بتطرقها إلى العناصر الشكلية اللّغوية التي تساهم في إنتاج المعنى مثل طريقة الطباعة، لون الكتابة، حجم الكتابة... الخ.

إن مقاربة "مارتين جولي" تشبه إلى حد بعيد مقاربة "رولان بارث"، فالمستوى الأول الشكلي الوصفي هو نفسه تقريبا المستوى التعييني الذي تحدث عنه بارث، أما المستوى الثاني لمارتين جولي الخاص بالأيقوني تطرق إليه بارث في تحليله للمستوى التضميني. تكمن نقاط الاختلاف في الممارسة الجديدة للباحثة التي تقوم على تسجيل المضامين الدلالية في مستويات منفصلة أي اتبعت طريقة التحليل التي تستمر فيها عناصر "تقنية" وتأويلية، باتباع نموذج تدريجي وتصنيفي الذي يسمح بتشكيل المعنيى. وفي دراسة السياق ذاته، تقترب الدلالة التضمينية "لمارتين جولي" في سعيها إلى تفكيك الصورة الإشهارية من أعمال "بارث"، ولكنها اقترحت مجالا منتظما للتحليل باتباع مستويات في التحليل، مما يجعل من أطروحتها مرجعًا مفيدًا للدراسات السميولوجية خاصة الصورة الثانية.

3. شبكة تحليل برنارد كوكيلا وكلود بيروتات (Bernard Cocula et Peyroutet):

في هذه الشبكة يقوم الباحثان بتقسيم مراحل التحليل إلى ثلاث مراحل وهي[٣]:

1. وصف الرسالة: ويتم خلال هذه المرحلة معرفة النقاط التالية:

- تاريخ إنتاج الصورة، مرسل الرسالة أي مبدع الصورة (تاريخه، مكان ولادته، ظروف وفاته إن كان قد توفي، الجريدة أو الصحيفة أو أية هيئة أخرى ينتمي إليها المرسل، بالإضافة إلى ذكر ظروف إنتاج الصورة؛

---

(٣) عبد الله قدور ثاني: **الرسالة الإشهارية وإستراتيجيات التواصل**، مجلة المترجم، العدد 14، الجزائر، 2006، ص ص36-37.

2. **المقاربة الأيقونية:** يتم خلالها وصف الأشكال، والأبعاد الموجودة داخل الصورة، بالإضافة إلى الحديث عن الألوان المتواجدة على الصورة دون الخوض في البحث عن دلالاتها ومعانيها، وببساطة المقاربة الأيقونية هي رؤية العناصر الواردة، أو هي عملية جرد الدوال التقريرية للصورة.

3. **المقاربة الأيقونوغرافية:** وهي تشمل:

أ. **الميدان الثقافي والاجتماعي:** على مستوى هذا الميدان يتم التعريف بالشخصيات والأشياء الموجودة في الصورة.

ب. **السنن التوبولوجية:** ويتم من خلالها تحديد أماكن تواجد الشخصيات (مسجد، كنيسة، نادي، مقصي... الخ).

ج. **العلاقات بين الشخصيات والنقد النفسي للصورة:** ويتم خلال هذه المرحلة دراسة نفسية لبعض حركات الشخصيات، ومحاولة نقد كل ما يصدر عنهم من انفعالات.

د. **الأهمية المعنوية والسياسية:** ويتم من خلال هذا الجزء محاولة إيجاد التفاعلات السياسية التي توحي بها الصورة، وما هي الظروف السياسية التي يمكن أن نستشفها من خلال هذه الصورة.

هـ. **الميدان الجمالي:** يتم من خلاله دراسة مختلف الجوانب الجمالية التي تنبع منها الصورة.

و. **التركيب أو الخاتمة:** إعطاء النتيجة النهائية للتحليل، ومحاولة إعطاء الرسالة التي كان يسعى صاحبها إلى إيصالها إلى الجمهور المتلقي.

4. **شبكة تحليل "لوران جيرفيرو" "Laurent Gervereau":** تنقسم هذه الشبكة إلى[٤]:

أ. **الوصف:** وفي وصف الرسالة من المفيد البدء بالقاعدة وهي الجانب التقني، ومن بين المعاني اللّغوية التي نستقيها من كلمة "تقني" هي كل المعلومات المادية المتعلقة بالوثيقة المعنية. ومن هنا تظهر أهمية توجيه شبكة التحليل حسب نوع كل وثيقة (صورة فوتوغرافية، رسم، نحت... الخ).

بالإضافة على ذلك يغطي الجانب التقني أيضا في حالة الوصف البيبليوغرافي، اسم المرسل، الرسالة، هوية المرسلين والتعريف بهم، تاريخ الإنتاج، نوع الدعامة أو التقنية المستعملة، الحجم، الموقع. نأخذ مثالاً على ذلك، صورة في مجلة، يجب البحث عن كاتب الصورة، عنوان المجلة، الطابع، معرفة كيفية

---

(٤) عبد الله قدور ثاني: نفس المرجع السابق، ص ص37-39.

إمضاءه، تاريخ مجموع عمليات وتوزيع الصورة، القيام بتحقيق حول طريقة الطبع، تبيان حجم الصورة وحجم كل الصفحة التي تقع فيها الصورة، كما يصبح في بعض الحالات من المفيد دراسة نوعية الحبر والورق.

إن طرق التحليل المطبقة في دراسة التحف الفنية في تطور ثابت وهي تنقسم إلى أربعة مجموعات: طرق الاختبار، القياس، التحليل، التاريخ... الخ، التحليل العلمي يعود أساسا إلى معرفة المواد المستعملة من طرف الفنان، يوضح ميزات تكنولوجية، والحالة الحقيقية للحفظ. ولكن يعود أيضا إلى إدراك التحولات الحادثة في كل مراحل الفعل الإبداعي، وهذا يسمح من فهم الدواعي العميقة للفنان.

ثم الجانب الأسلوبي: هذا الجانب مهم في التحليل ونعتمد في هذا الجانب على مؤرخي الفن، ويقوم أساسا على معرفة المكونات الشكلية الخاصة بالعمل، كالألوان، والمساحات المسيطرة، الحجم وتدرجاته، التنظيم الأيقوني (ما هي الخطوط الرئيسية؟).

– **الجانب الموضوعي:** ويقصد به القراءة الأولية أو المعنى الأولي للصورة، وفي هذا الجانب أربعة أسئلة يمكن طرحها: ما هو العنوان؟ وما هي العلاقة بين النص والصورة؟ ما هي الرموز؟ ما هو المعنى الأول؟ ما هي العناصر الممثلة على الصورة؟

ب. دراسة السياق: وتنقسم هذه المرحلة إلى:

1. النسق من الأعلى: وهنا نطرح السؤال التالي: من أي منبع تقني، أو أسلوبي موضوعي خرجت هذه الصورة؟

الأيقونة هي ثمر سياق، فمهما كان الشيء المنجز، فالصورة لها دعامة، وهذه الدعامة لها تاريخ، ولها مادة صنعت منها، وطريقة صنع خاصة، ثم يأتي السياق الأسلوبي، فكل صورة لها خطوط (الألوان والمواد) التي تمت دراستها في المرحلة الأولى، ويجب معرفة فيما إذا كانت تناسب توجه العصر أن لا.

وأخيرًا السياق الموضوعي يتم خلاله معرفة مدى صدق وصحة الوثيقة المراد تحليلها، وذلك بدراسة مختلف ظروف ظهور العمل، ويمكن الاعتماد في بعض

الأحيان على تقييمات بعض المختصين، والباحثين، والأكاديميين، والصحافة وكتب تلك الفترة.

الكاتب: من أنجز الصورة؟ وما هي علاقتها مع تاريخه الشخصي؟

ويتم من خلال هذه المرحلة دراسة صاحب الرسالة، وذلك بذكر تاريخه، ومفاهيمه وجوانبه النفسية، وحتى يمكن ذكر حوادثه اليومية أثناء قيامه بإنجاز هذا العمل.

السياق الخارجي: وهنا يمكن الحديث عن العوامل الخارجية التي ساعدت على إنجاز هذا العمل وما هي علاقته مع تاريخ المجتمع المعاصر.

ب. النسق من الأسفل:

١. **التوزيع:** هل عرفت الصورة توزيعا في وقت إنتاجها أم توزيعا بعديا؟ من شاهد الصورة حقيقة؟ وهذه المرحلة قد تظهر سهلة لما نتحدث عن عمليات التكميم (عدد نسخ الجريدة التي بيعت، عدد الطوابع البريدية المباعة، عدد زوار معرض، لكن تظهر صعبة في معرفة عدد الذين رأوا الصورة من وقت إنتاجها إلى اليوم مثلا، لا يمكن معرفة عدد الذين رأوها منذ يوم إنتاجها، كما يجب التفريق بين الرؤية الحقيقية أي التي تحدث تأثيرًا وبين الرؤية التي تمثل إعادة إنتاج دون تأثير.

٢. **التأثير:** ما هي المقاييس التي نملكها حول طريقة استقبال الصورة من خلال الزمن؟ وهذه المرحلة تفرض أن نبحث في المقاييس النفسية والأنتروبولوجية والسوسيولوجية، وهذا ما يظهر مستحيلا في المراحل القديمة وحتى الغربية، كما أنه في الكثير من الأحيان يكون من الضروري جمع عدد من المؤثرات (نصوص، تعليقات، آثار الصورة) لمعرفة عناصر تقييم الصورة.

٣. **التفسير:** المعاني الأولية والمعاني التضمينية، هل مبدع الصورة أوحى إلى تفسير مختلف عن عنوانها، أو معناها الأول؟ ما هو التحليل المعاصر لوقت إنتاج الصورة التي يمكننا أن نجدها؟ وما هي التحاليل البعدية؟

- الحوصلة والتقييمات الشخصية:

وبالنظر إلى هذه العناصر القوية المستخرجة أثناء الوصف ودراسة السياق، ما هي العناصر التي يمكن استخلاصها؟ وما هي الانطباعات الذاتية التي يمكن أن نعطيها عن الصورة من خلال ذوقنا الشخصي؟